مراءاة

تجـــــــاوزات:

- إصرار البعض على كسر القوانين والرغبات لصالح نفسه أو لأنه مستعجل.
- ميكروباصات نقل البضائع تنقل البشر.. وميكرفونات الأعراس والمدارس تلوث البيئة.

نهاية الشهر.. تجد من يتجاهل الطابور ومشاعر زملائه، ويتقدم ببذاءة ليتسلم راتبه قبلهم..

تطفل

● في إحدى الجهات كان محمد عزالذين- يدردش مع مسئول الجهة حول مشروعه الاستثماري الذي يأمل أن تتبناه هذه الجهة.. لكن عدم الالتزام بالذوق العام أفسد على محمد مشروعه، أولاً: المسئول يقاطعه في الحديث، وبالتالي لايستوعب أهداف المشروع وأهميته لأنه لم يمنح محمد فرصة للشرح والتوضيح.. أيضاً أحد المستفيدين المتواجدين حينها، حشر نفسه في شئون غيره وتطفل، يسأل عن طبيعة المشروع ونوعيته ثم يؤكد للمسئول أن المشروع يحمل مؤشرات التعثر..

ما شأن هذا المستفيد حتى يتدخل في ما يخص غيره، لماذا لم يحترم نفسه ولم يحترم شعور الآخرين؟

هذا الحـــدث ليس إلا صورة بسيطة لمئات المماثل التي تحدث يومياً في كل مرفق..

● صعبٌ على المرء أن يتأمل كل عناصر ومكونات الذوق العام، والانتباه للمنحدر الخطير الذي يسير كثير من الناس فيه.. منحدر سلوكي.. عدم الشعور الفعلي بالمسئولية وبإنسانية المهنة يجيز لأي شخص التصرف بسلبية ليسيء إلى ذاته والآخرين..

ربما ثمة ماهو أشد إزعاجاً من حكاية المدخنين في المرافق العامة الذين يتجاهلون منغصات السجائر المتوزعة في الممرات والحجرات، ويطفئون سجائرهم في إطارات النوافذ من الداخل أو يقذفونها من النافذة بلا تركيز لتقع على رأس أحد المارة.. أو يرمونها على البلاط ويسمح أحدهم لقدمه لتنزلق قليلاً بالسيجارة مخلفاً وراءه خيطاً أسوداً يشوه منظر البلاط..

أو كما حدث ومازال يحدث من حرائق في بعض المرافق، تلتهم الأرشيف والوثائق والمعاملات والبيانات وتخلق مأساة وخسائر فادحة، نتيجة سيجارة رماها أحد المدخنين بلا مبالاة الى سلة مهملات مليئة بالأوراق المستهلكة، دون أن يطفئ السيجارة..

الأشد إزعاجاً واستفزازاً وإيذاءً من ذلك هو إقبال بعض الموظفين أو المستفيدين في مختلف المرافق على البصق على الجدران حتى داخل المرافق المعنية بالثقافة أو التعليم.. أشياء غريبة فعلاً وتصرفات تجعل الحليم حيراناً..

نوع من اللاوعي وانعدام الشعور واهتزاز الشخصيات، يجعل البعض وهم في «الحمامات» يتجاهل المرحاض ليبصق على الجدار ويترك المرحاض خلفه متسخاً في منظر مؤذ رغم وجود حنفية الماء..

تسأل.. لماذا؟.. يجيب خالد الوجيه- موظف في وزارة التربية والتعليم:

لأن الحمامات ودورات المياه- في مختلف المؤسسات والمرافق الحكومية مناظرها سيئة، وبعض المراحيض مكسرة، أو يضطر الموظفون وأصحاب المعاملات لاستخدامها لقضاء الحاجة مع عدم توافر الماء.. وعمال النظافة يهتمون فقط بدورات المياه الخاصة بالوزير أو الوكلاء فقط..

ملائكة الرحمة

أما الذوق العام عند ملائكة الرحمة، فإن له وضعاً مختلفاً تماماً ومتناقضاً مع سمو ورقي المهنة التي يمارسها الممرضون والأطباء في المستشفيات العامة أو الخاصة.. تعامل بعض الممرضات والأطباء مع المرضى، والأنكى مع الحالات الخطيرة يجسد سلوكاً تبرأت منه الإنسانية والرحمة..

● رضـــوان- ممرض في أحـــد أقســـام الرقـــود بالمستشفى الجمهوري التعليمي بصنعاء يصف لنا بعضاً من صور التعامل اللاإنساني من قبل بعض الممرضات وخاصة الأجنبيات والممارسات اليمنيات بدون مؤهلات في قوله:

«عملت في عدة مستشفيات.. الوضع مزعج في العيادات الخارجية بالمستشفى، ليس الجمهوري فقط، وإنما مختلف المستشفيات وخاصة مستشفى الثورة العام، هناك ممرضات مساعدات للأطباء وفي العيادات بسبب معرفتهن ببعض المرضى يمنعن دخول حالات إسعافية خطيرة الى الطبيب، وفي كثير من الحالات يتم التعامل بشكل سيء مع المسنين والمقعدين من خلال الزج بهم وأحياناً طردهم من أقسام الرقود، نظراً لازدحام المرضى وازدحام المرافقين أيضاً، وفي أقسام الجراحة «رقود» الممرضات غير فاهمات لعملهن ومهزوزات عندما تعطي المريض حقنة وريدية تنقب يده أكثر من خمس مرات حتى تجد الوريد، أو تترك العملية مكشوفة وتغادر الحجرة لإحضار بعض الأدوات وتتأخر عودتها..

وكثير من المرضى يتعرضون للإيذاء بسبب استهتار الأطباء والممرضات وأيضاً بسبب ازدحام المرافقين في ممرات المستشفيات أمام العيادات الخارجية وأقسام الرقود، وخلق جو من الضوضاء والإزعاج، ما يجعل الأطباء يتعاملون بعصبية وتوتر مع المرضى..

المريض يرافقه أحياناً أكثر من ثلاثة أشخاص، لاتدري لماذا يشكلون ذلك الازدحام.. الأدهى من ذلك أنهم يسربون أعضاء القات والسجائر الى أقسام الرقود، يساعدهم بعض العاملين في المستشفيات.. يلوثون أجواء المستشفى بادخنة السجائر.. ويشوهون المظهر العام للمرفق الصحي بالأوراق الخضراء المتناثرة في الممرات..

مفاهيم:

الإسلام حث على الذوق العام.. أبسطها «إماطة الأذى عن الطريق».

■ ■ ■

علاوة على ذلك يشكو الذوق العام وبشكل مستمر من الوضع المزري لحمامات المستشفيات الحكومية، التي يفـــترض أن تكون حمامات صحية نظيفة ومعقمة والمياه متوفرة فيها.. إلى ذلك تزكم أنوف الزائرين لأقـــسام روائح خانقة وتهوية ضعيفة..

تناقضات

● كل هذه الممارسات ليست إلا نزراً يسيراً من سلوكيات وتصرفات سلبية تضر بالذوق العام، وتتولد عن عـوامل نفـسـيـة واجتماعية وتربوية.. لعلم الاجتماع فيها رؤية يشرحها باختصار الدكتور/ضياء فيصل- اختصاصي علم اجتماع في قوله:

الإنسان ثمرة أسرته.. والأسرة ثمرة المجتمع.. إذن هناك علاقة تكاملية بين العنصرين الأخيرين، يتمخض عنها تفاعل سلوكي يستنشقه الطفل ويأتلف مع خلاياه.. لا يرى عيباً في تقليد سلوك الكبار..

وعندما ينبري بعض الشباب بإتيان الجارح لقيم وأخلاقيات المجتمع كمعاكسة الفتيات سواء على الباصات أو في الأسواق، أو في الجامعات، ما ذلك إلا مرآة لبيئة المنشأ وعناصره.

أحياناً قد يكون حرصهم على التزامهم بمنأى عن مراقبة أبنائهم وتنوير عقولهم وتوجيه سلوكياتهم.. وإذا لم يحترم الشباب بنات الناس فكذلك أبواه..

ربما بعض الشبـاب في هذا تصرف يترجمون تراكمات نفسية خلفها الكبت والحرمان، نتيجة الظروف الاقتصادية ونفقات الزواج الباهظة، وبالتالي تجاهل المدرسة لدورها الأساسي التربوي، واكتفائها بتلقين محـتـويات الكتب للطالب، دون شـرح في كـثـيـر من الأحيان.

كذلك الأمر في الممارسات غير المتعمدة التي يتوجب عندها الاعتذار.. أو كان لا يمتنع المدخن عن التدخين فوق الباص.. هو يشعر بالخطأ وتتنازعه قيم الخير والشر، ولكن السجية التي تربى عليها تغلب، وهي ألا يعتذر- ربما تكبراً وتقزيماً للآخرين- وألا يحترم شعور الآخرين فلا يطفئ سيجارته..

وجه آخر لهذه المسائل.. هناك أسرٌ نموذجية تنمي روح الحب والإحترام في نفوس أبنائها وتزرع فيهم الشعور بالمسئولية تجاه كل شيء في المجتمع، يميلون إلى النظافة والى مساعدة الآخرين واحترامهم.. لكن بعض هذه الأسر تتعامل مع الأبناء في أفق ضيق تغلب عليه القسوة والضرب المبرح للتاديب.. وهذا ينتج ابناً بليداً في كثير من الحالات.. يدرك أنه أساء إليك ويأسى وينصرف خجلاً دون أن يعتذر.

مفهوم الأفضلية

● ويردف الدكتـور/ضيـاء قـائلاً: إنما ثمة نقطة جـوهرية مـرتبطة بما يتـعـرض له الذوق العـام من تهميش.. أصحاب الوجاهات، وأبناء المسئولين وبعض التجار، وبعض المسئولين أنفسهم المعنيين بمسألة الذوق العام والحفاظ على نظام المجتمع وتثبيت القيم وتطبيق القوانين.. تجدهم إما بسياراتهم الفارهة يدوسون على مشاعر البسطاء في الطرقات، ويتجنون على الأنظمـة و القـوانـد المرورية، وغـيـر ذلك من التصرفات التي نلاحظها من أمثال هؤلاء يومياً في مختلف الأمكنة والمناسبات بدافع الغرور والتـعـالي والشعور السطحي بالأفضلية.. بينما هم في واقع الأمر، يعبرون في هذه السلوكيات والممارسات السلبية عن عدة عوامل:

- التنشئة الأسرية غير المتوازنة الغالب عليها الترف والطيش.
- تأطير حركة الكثير من أبناء المترفين منذ طفولتهم، بعوامل التباهي والنمو في بيئة مستهترة بالمال وبالقيم، سواء في المدارس الخاصة أو المخالفة الاجتماعية أكانت من خلال الدراسة في الدول الأوروبية المنفتحة جداً، أو في أرض الوطن ولكنها مخالطة تنحسر عند نفس العيار..

لذلك تغيب الكثير من قيم المجتمع وأخلاقه حتى أيضاً القيم الدينية والتعاليم الاسلامية عن أمثال هؤلاء.. وأشبه بالصدمة تعتريهم عندما يتدرجون في مخالطة الشرائح الأخرى للمجتمع، وخاصة البسطاء... يجدون واقعاً لم يحاول آباؤهم ترويضهم عليه..

يصطدمون بواقع له قيم حميدة وإن كانت نسبية.. لمجتمع مثالي أو مكبوت..

لهذا فإن حقيقة الأفضلية تنعكس مفاهيمها لديهم سلباً.. وفي غرورهم وتباهيهم وممارساتهم السلبية والمؤذية، هم- دون أن يشعروا- يهربون من المجتمع المثالي ويحاولون جرحه وتهتيكه لأنه في معظم الحالات يزدريهم ويرفض تنشئتهم وسلوكياتهم..

حدود الحرية

● الدكـتـور/زيد عـبـدالكريم جـايـد- رئيس قسم علم النفس بكلية الآداب جـامـعـة صنعـاء.. له رؤية تحلل نفسيات البعض ممن يمارسون سلوكيات تفسد الذوق العام.. وهو يتحدث عن رؤيته تعرض لبعض مشاهداته الشخصية لممارسات سلبية، نجمت عن سائق باص يتخلص من فضلات القات في الطريق ويتمضمض ويبصق من المنافذ ليتساقط بعض الرذاذ على الركاب.

واستأنف الدكتور- جايد حديثه قائلاً:

تعـرضت لكثـيـر من الحـالات والذين أنبـهـهم لهذه التصرفات السلبية يشعرون بالأسف ويعلنون اعتذارهم، هم لم يتعـمدوا هذا، لكنهم لايعرفون الطريقة الجيدة للتخلص من هذه الفضلات..

وفي جـانب النظافة العـامـة أشاهد عـمـال النظافة يعملون حتى وقت متأخر من الليل إلا أنني أجد بعض الشوارع متسخة، والسبب أن كثيراً من المواطنين لم يكتسبوا مهارة النظافة، وعاداتها حتى تصبح سلوكاً شخصياً.. وهو يعتقد أن النظافة التي تهمه هي نظافة منزله، ونظافة نفسه، أما الشارع أو المرافق العامة فهي لاتعني له شيئاً.

في العام الماضي قفزت أمانة العاصمة قفزات واسعة بوضـعـهـا «سـلال» للأوسـاخ في مـفـتـرقـات الطرق والتقاطعات بعضها مازال صالحاً، إلا أن البعض الآخر قد تحطمت أو اختـفت من أمـاكنها.. هذا يعـود للذوق العام بشكل مباشر، لأنه يرتبط بـبعض النـاس واطئي الثقافة، يجهلون المصلحة العامة والتفاعل معها.

علم النفس يرجع هذا إلى عـامل رئيسي، هو عـامل التنشئة الأسرية، وهو أيضاً يرتبط بالتربية البدوية.. المجتمعات في صنعاء وفي بعض دول الخليج، مازال لها علاقة وارتباط وثيق بقيم البداوة..

البدوي ليس قذراً مع أنه مقارنة بابن المدينة تقل عدد المرات التي يستحم فيها.. لكن البدوي بسبب فضائه الرحب والمساحات الواسعة لايجد الأوساخ، عندما يرمي الفضلات تاخذها الرياح بعيداً، لذلك قيمة النظافة معتمدة على الطبيعة، على الريح، وعلى انتقاله عندما تكون المنطقة قذرة أو موبوءة الى منطقة أخرى.

● ويضيف رئيس قسم علم النفس موضحاً:

في المدينة الريح لا تعمل فعلها كما في البراري، بسبب الأزقة والشوارع والمنعطفات.. لذلك تتجمع الأكياس والأوساخ في أماكن مختلفة.. لذا ينبغي ألا نلوم الجاهل، إنما ينبغي أن نعلمه ونوجهه كيف يسعى الى نظافة نفسه ونظافة مدينته.. يجب أن تأخذ المدرسة الدور الأساسي في هذا كونها مصدر إشعاع للأسرة من خلال ما تلقنه للطالب.. دور المعلم ليس فاعلاً في تعليم العادات الجيدة للأطفال.. بالتالي الطالب لايقدم لأسرته أي سلوك حسن إذا كانت غير منظمة وغير واعية، وينشأ في بيئة مدرسية وأسرية هشة تؤثر سلباً على سلوكياته.. وهنا يجب أن يتكامل دور المدرسة مع دور الأسرة مع دور المؤسسات الصحية والثقافية ومنظمات المجتمع المدني لتوجيه الأبناء والسكان، والمدرسة معنية بالدور الرئيسي.

● وعن الممارسات السلبية الأخرى التي نلاحظها في الطرقات، في وسائل نقل الركاب، في الحركة المرورية.. وأيضاً في ما يتعلق بضوضاء قاعات الأعراس.. يقول الدكتور زيد: الضوضاء تدخل ضمن التلوث البيئي، هذا هو تصنيف قاعات الأعراس إنها تلوث البيئة.. كثير من المواطنين في المناطق السكنية لديهم اعتقاد بأن حريته هي أن يمارس ما يشاء لكن الحرية كما يقول أحد المفكرين «تنتهي حيث تنتهي حدود أنفك».. لذا ينبغي أن نمارس الحرية في ذواتنا، وتكون حريتنا تعبيراً عن التزامنا إزاء الآخرين.. تجنب الضوضاء، تجنب إحراج الآخرين، تجنب الاساءة الى الآخرين.

والمدرسة في مـخـتـلف الحـالات والممـارسـات هي المسئول الأول عن توجيه سلوكيات المجتمع من خلال الطلاب..

مكارم الأخلاق

● التفاصيل في هذه المسألة لا تتسع لها المجلدات، إنما مـا أوردناه نماذج بسـيطة تفـسـد الذوق العـام.. والأحرى بكل فرد من أفراد المجتمع وبكل أسرة ألا تنتظر فقط دور المدرسة ومؤسسات الدولة في التوعية وتوجيه السلوكيات والتثقيف.. هناك الفطرة التي فطرنا عليها كمسلمين وعرب لنا قيمنا وأخلاقنا ومبادئنا الحميدة.. والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخـلاق».. ولعل الوضـوء أبسط الأمـثلة لاهتمام ديننا الحنيف بالنظافة الشخصية، وبشكل عام الأنظار الهارئة بوعينا وثقافاتنا وخاصة أنظار الزوار.. وأبسط مـا حث عليـه الإسـلام من الذوق العـام «إماطة الأذى عن الطريق»..

علم النفس:

ذلك نتيجة التنشئة الأسرية.. والارتباط بقيم العشوائية.. وتجاهل المدرسة لدورها التربوي.